القراءة السُّوسيولوجيَّة لظاهرة التَّسرُّب المدرسي من خلال الأسباب والنَّتائج المترتّبة عنه

أ/ قرود أحمد، جامعة الجلفة

ملخَّص: إنَّ موضوع التَّسرُّب المدرسي ليس ظاهرة اجتماعيَّة وتربويَّة جديدة على المدرسة والمجتمع الجزائري بل كانت منتشرة حسب الظُّروف السِّيَّاسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للفرد والمجتمع، ولكن بنسبٍ متفاوتة تختلف من سنةٍ دراسيَّةٍ لأخرى ومن مدرسةٍ لمثيلتها ومن مكانٍ لآخر حسب المؤثّرات والأسباب الَّتي تؤدِّي لها ولكن في ضوء تعقُّد الحضارة الماديَّة وانفتاح الأسرة الجزائريَّة على الكثير من المستجدَّات والتَّغيُّرات المتسارعة والزِّيادة الكبيرة في عدد المتمدرسين ومضاعفة عدد المدارس وتوسُّع رقعة العمران البشري أصبحت وتيرة التَّسرُّب المدرسي أكثر من قبل وخاصَّةً في ظلِّ وجود تجمُّعات ترفيهيَّة كالمقاهي ونوادي الإنترنت والملاعب الجواريَّة وقاعات الألعاب الإلكترونيَّة والَّتي باتت تنافس المدرسة في إيجاد مناخ وملتقى اجتماعي للمتسرّبين من شأنه أن يعمل على تسليَّتهم رفقة الأقران والرِّفاق ومن هذا المنطلق فالتَّسرُّب المدرسي ظاهرة تعدَّدت أسبابها ونتائجها وانعكاساتها على المجتمع ممَّا يستدعي البحث فيها من خلال الدِّراسات السَّابقة المتراكمة الَّتي بُحث فيها ومن خلال تجدُّد أسبابها المجتمعيَّة فهي ليست حبيسة زمان ومكان معينين بل تتأثَّر وتؤثِّر حسب طبيعة المجتمع ومنظومته التَّربويَّة والاجتماعيَّة.

كلمات مفتاحيَّة : قيم اجتماعيَّة مدرسيّة ، التعلُّم ، التسرُّب المدرسي ، المدرسة الابتدائيَّة

Abstract: The issue of school dropout is not a new social and educational phenomenon for the Algerian school and society, but it was widespread according to the political, social and economic conditions of the individual and society, but in varying proportions vary from one school year to another and from a school to its analogy and from one place to another according to the influences and causes that affect them The material civilization, the openness of the Algerian family to many new developments, rapid changes, a large increase in the number of students, the multiplication of schools, and the expansion of human urbanization The pace of school dropout has become more than before, especially in light of the presence of recreational gatherings such as cafes, Internet clubs, and electronic games The school's competition in creating a climate and social meeting place for the dropouts would serve to entertain them, accompanied by peers and comrades. From this standpoint, the school dropout is a phenomenon whose multiple causes, consequences and

repercussions are on society, which necessitates research in it through previous accumulated studies in which the causes are not researched and through which they are found. Confined to a specific time and place, it is affected and influenced by the nature of society and its educational and social system.

Key words: social, school values, learning, school dropout, elementary school

مقدِّمة: إنَّ المتتبّع لظاهرة التَّسرُّب المدرسي يكتشف من خلال البحث في اسبابها ومسبِّباتها أنَّها ظاهرة متجدِّدة الأسباب والنَّتائج ولها علاقات متشابكة ومعقَّدة مع ظواهر أخرى داخل المدرسة وخارجها ممَّا يزيد من انتشارها وتوسُّعها على نطاق أوسع في المجتمع ممَّا يعني الزاميَّة البحث فيها وايجاد الحلول لها.

<u>تعريف وقراءة في اسباب التَّسرُّب المدرسي :</u> لقد ظهرت أول البحوث الجديَّة عن التَّسرُّب المدرسي في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ونُشرت عام 1964 وأظهرت الدِّراسة أنَّ هناك عدَّة أسباب لموضوع التَّسرُّب تختلف من بلد لآخر ولذا يحسن بحث هذا الموضوع لكلِّ بلد على حدى ؛ وقد اهتمت اليونسكو أيضاً بدراسة هذا الموضوع على المستوى العالمي وتبيّن بأنَّ هناك أسباباً عامَّة تتكيَّف حسب ظروف كلِّ دولة (بن حمُّودة محمَّد،2008،ص79). أرجع بعضها مؤتمر فرنسا المنعقد في 9 و 10 نوفمبر 2017 إلى عوامل فرديَّة وسياقيَّة مرتبطة بالأقاليم والمؤسَّسات (PRÉCONISATIONS DU CNESCO DÉCSMBRE 2017, P6) وعلى هذا الأساس يعتبر النِّظام التَّربوي لكلِّ مجتمع مرآة تعكس وعيه الحضاري والتَّربوي والثَّقافي ومدى تفعيل وتأثير أهم مؤسَّساته الاجتماعيَّة والتَّربويَّة على الحياة العامَّة ومن هذا المنطلق فحقيقة هذا النِّظام تنبع من آليات وديناميكيَّة السُّلوك التَّربوي الواعي في حدِّ ذاته وكيفيَّة إنتاج هذا السُّلوك من خلال أهمِّ مؤسَّسة فاعلة بقوَّة بعد الأسرة ؛ اللَّبنة الاجتماعيَّة الأولى السَّاهرة على التَّنشئة الاجتماعيَّة الأوليَّة لكلِّ فردٍ منَّا لتأتي المدرسة كمرحلة تكميليَّة وبيئة اجتماعيَّة تربويَّة مُلزمة لكلِّ مجتمع مواكبة للتَّغيُّرات السَّريعة الَّتي يمرُّ بها المجتمع العالمي دون استثناء ، كحتميَّة ضروريَّة لا مناص منها وفي خضم هذه الظُّروف المحليَّة والإقليميَّة والدَّوليَّة ، طفت على السَّاحة المجتمعيَّة العديد من المشكلات الاجتماعيَّة ، ساهمت فيها العديد من الأسباب النَّاجمة عن وجود خلل وظيفي ناتج عن تخلِّي أو تقلُّص بعض مهام وأدوار هذه المؤسَّسات الاجتماعيَّة المكوَّنة للبناء الاجتماعي ،وما يتخلَّله من علاقات وتفاعلات تحرِّك كيانه وتحافظ على تماسكه الدَّاخلي ، إلَّا أنَّ استفحال هذه المشكلات وانتشارها شدَّ انتباه الكثير ، من المختصِّين الاجتماعيِّين والتَّربويِّين الَّذين حاولوا وصف وتشخيص هذه الظَّواهر السِّلبيَّة في المجتمع

ومحاولة الوقوف على أهمّ أسبابها ونتائجها وماهي أهمَّ الرَّوافد الخفيَّة والظّواهر الَّتي تغذِّيها وتجعلها محطَّ أنظار كل المهتمين بهذا المجال ومن هذه المعضلات التَّربويَّة الشَّائكة والمستعصيَّة الحلول أو إيجاد آليَّة تحدُّ من انتشارها وتفاقمها وهذا حسب العديد من الإحصائيَّات الدَّالة رقمياً على أنَّها في تزايد مستمر ، فظاهرة التَّسرُّب المدرسي الَّتي ما فتئت تظهر إحصائيَّاتها وبياناتها البحثيَّة في العديد من الدِّراسات المحليَّة والعربيَّة والأجنبيَّة تؤكِّد مرَّة أخرى على أنَّها من أهم الانشغالات الأكثر أهميَّة في أيَّامنا هذه لما لها من تداعيات اجتماعيَّة ،وآثار سلبيَّة خطيرة تهدِّد المجتمع وتجعله يدقُّ ناقوس الخطر مرَّات متتالية وخاصَّةً أنَّها لا تقتصر على طور تعليمي دون آخر بل تعدَّت ومسَّت كل أطوار المراحل التَّعليميَّة بنسب متفاوتة فهي لا تتوقَّف آثارها السِّلبيَّة على الفرد أو النِّظام التَّعليمي فقط بل تتعدَّى إلى جميع نظم المجتمع ومؤسَّساته ومجالات حياته) (محمَّد الخشيبي علي السيِّد ، 2002 ، ص 347).

تفسير التَّسرُّب المدرسي من خلال المقاربة السُّوسيُّولوجيَّة المعتمدة:

يمكن الاستفادة في هذه القراءة البحثيَّة من عدَّة نظريَّات مختلفة لتحليل وتوجيه تساؤلات وفرضيَّات ومفاهيم هذا البحث والوقوف على نتائج واستنتاج فعلي من خلال العمل على توظيف أهم مصطلحات هذه النَّظريَّات ومفاهيمها من ناحيَّة وصف وشرح و تحليل مبادئها وعلاقتها بموضوع الدِّراسة وإسقاط معانيها على حيثيَّات البحث ومقارنة النَّتائج المتوصَّل لها بما تنادي به هذه النَّظريَّات المعتمدة في تحليلها وتنبُّؤِها بالظَّاهرة المدروسة في عمقها الاجتماعي وواقعها المعيش بين متطلَّبات المدرسة والمجتمع. ومن هذه النَّظريَّات الَّتي اعتمدتها الدِّراسة نظريَّة الشِّدَّة على المتعلِّم لابن خلدون ونظريَّة الاغتراب و شروط النَّهضة لمالك بن نبي:

1- النَّظريَّة الكلاسيكيَّة لعبد الرَّحمان بن خلدون(الشِّدَّة على المتعلِّم): والَّتي تحدِّد في مضمونها العلاقات الطَّرديَّة بين المتعلِّم والموقف التَّعليمي الَّذي يدرس فيه فكلَّما كانت الشِّدَّة عليه في التَّعلُّم كانت نسبة النُّفور والتَّسرُّب من المدرسة أقوى والعكس صحيح والأمثلة كثيرة في هذا الصَّدد فعدم تَّواصل التِّلميذ مثلاً مع مرتكزات العمليَّة التَّعلُّميَّة في المدرسة تساهم في إيجاد شدَّة عليه وبقوَّة تنعكس على تحصيله الدِّراسي وتعجِّل بفشله مبكِّراً، والشِّدَّة على المتعلِّم لها صوَّراً متكرِّرَّة نمطيَّة تختلف باختلاف قوَّة العلاقة من عدمها بين الطَّاقم الإداري والبيداغوجي والمتعلِّم وحتَّى بينه وبين المنهاج المدرسي المتَّبع .

-2نظريَّة الاغتراب: يعرِّفه أبوبكر مرسي(2002) بأنَّه شعور الفرد أنَّه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه وأنَّه خارج عن الاتِّصال بنفسه كما هو خارج عن الاتِّصال بالآخرين. و أنواع الاغتراب لا يمكن

فصلها عن بعضها البعض بصورة مستقلة نظراً لأنَّها تشكِّل وحدة من المشاعر الَّتي يعايشها الإنسان وتؤثِّر ببعضها البعض، ممَّا يؤدِّي إلى تشوُّه في نمُو الشَّخصيَّة كما قد يؤدِّي إلى انفصام العلاقات الاجتماعيَّة . وهكذا لذلك كان الاغتراب ظاهرة تتأثَّر بجوانب عديدة فكانت لها مجموعة من الأبعاد: صنَّفها حامد الزَّهران 2004 إلى ستَّة أبعاد: اللَّامعنى، العجز، اللَّاهدف ، اللَّامعياريَّة الاغتراب الصَّفي، الاغتراب الاجتماعي.

-اللَّامعياريَّة Normlessness:وتمثِّل فقدان المعيار،وعدم وجود نسق منظَّم للمعايِّير أوالقيم الاجتماعيَّة الَّتي تمكِّن الفرد من اختيار الفعل الأكثر اتِّفاقاً مع وضع معيَّن ذلك لأنَّ الفرد المغترب يرفض المعايِّير الاجتماعيَّة ولا ينصاع لها وهكذا نجدها في سلوكات التِّلميذ الَّذي كرَّر عمليَّة التَّسرب بشيء من التَّمرُّد. -العزلة الاجتماعيَّةSocial isolation: هي انسحاب الفرد وانفصاله عن تيَّار الثَّقافة السَّائدة في مجتمعه ممَّا يجعله يشعر بالانفصال عن الآخرين والإحساس بعدم الانتماء يحدث ذلك في المدرسة للطِّفل الَّذي لا يستطيع مواكبة بقيَّة زملائه أو نتيجة ظروف اجتماعيَّة أو مدرسيَّة عصفت به ممَّا يشعره بعدم الانتماء. -التشيُّؤ Réification: هو شعور الفرد بأنَّه فقد هويَّته وأنَّه مجرَّد شيء أو موضوع أو سلعة ، وأنَّه لا يملك مصيره ،وهو شيء ملاحظ عند الكثير من التَّلاميذ الَّذين انقطعوا نهائياً .

-اللَّامعنى Meannglessnes:ويقصد به أنَّ الفرد يرى أنَّ الحياة لا معنى لها وأنَّها تشير وفق منطق غير معقول وأنَّ حياته لا جدوى منها فيحيا نهباً لمشاعر اللَّامبالاة والفراغ الوجداني.

-اللَّاهدف Parposelessnes: ويقصد أنَّ الحياة تمضي بغير هدف أو غاية ،عادةً مما تترسَّخ هذه الفكرة في وجدان المتمدرس نتيجة الصُّورة الذِّهنيَّة الَّتي حملها بعض الأطفال عن الكبار ذوي الرَّأسمال العلمي أو الثَّقافي المحدود وهذا منتشر بقوَّة في مدارس المقاطعة المحل الدِّراسة.

-العجز PowerLessenss: ويقصد به شعور الفرد بالعجز عن السَّيطرة على تصرُّفاته ورغباته وافتقاره إلى الشُّعور بالقوَّة الحاسمة وعدم التَّقرير وهو سلوك منتشر بين المتعلِّمين الَّذين لهم خصائص المتسرِّبين.

-غربة الذَّات Selfestrangements:أي أنَّه أصبح نافراً ومغترباً عن ذاته.وهي درجة متقدِّمة للمتسرِّب.

التَّمرُّدRébllion: هو شعور الفرد بالرَّفض والكراهيَّة لكلِّ ما يحيط به ممَّا يدعوه لممارسة العنف. وهو فعل اجتماعي ممارس في المدرسة كآليَّة للهروب من الواقع الدِّراسي للطَّلبة الفاشلين دراسياً على العموم.

الرَّفضRéjection:هو اتِّجاه سلبي رافض وعاد نحو الآخرين أو نبذ بعض السُّلوك ويتضمَّن الرَّفض الاجتماعي والتَّمرُّد على المجتمع(زليخة جديدي،جوان2012،ص351،352،353،354).ويمكن توظيف نظريَّة الاغتراب في فهم تصنيفات حامد زهران واسقاطها على الواقع التَّربوي للمتسرِّب الَّذي يكون في الكثير من الاحيان ضحيَّة ممارسات عدَّة أهمُّها عدم احساسه بالإنصاف والعدالة المدرسية وكذا حرمانه من بعض حقوقه البيداغوجيَّة وعدم محاورته.

3-نظريَّة شروط النَّهضة لمالك بن نبي(الإنسان+تراب+وقت) غير أنَّ هذه العناصر الثَّلاثة لا تمارس مفعولها الحضاري في حال شتاتها وانفصالها، وإنَّما تدخل في السِّياق الحضاري إذا ما أصبحت في صورة مركَّب متآلف، والَّذي يشكِّل هذا التَّركيب الفعَّال، إنَّما هو الفكرة الدِّينيَّة، إمَّا بطريقة أو بواسطة بديلاتها اللاَّدينية، فكلُّ عمليَّة اجتماعيَّة تفسِّرها هذه العناصر مجتمعةً، والإنسان هو الَّذي يحدِّد في النِّهاية القيمة الاجتماعيَّة لهذه المعادلة لأنَّ التُّراب والوقت لا يقومان إذا اقتُصر عليهما فحسب بأيِّ تحويل اجتماعي ومثَّل لذلك بتاريخ الأمَّة الألمانيَّة(1939-1945) إذ لم يبق لها من عالم الأشياء شيء، وابتداءً من الرَّأسمالية ،أو من عالم الأفكار بنت كل حياتها الاجتماعيَّة واحتلت من جديد، مكانتها السِّياسيَّة في العالم وليست الحضارة عنده كما يتصوَّرها الأنتربولوجيُّون" Anthorpoloaues أي شكل من أشكال التَّنظيم للحياة البشرية، سواء كانت على مستوى المجتمع النَّامي أو المتخلِّف أو البدائي.بل عرَّفها وظيفياً على أنَّها "مجموع الشُّروط الأخلاقيَّة والماديَّة الَّتي تتيح لمجتمع معيَّن أن يقدِّم لكلِّ فرد من أفراده في كلِّ طور من أطوار وجوده من الطُّفولة إلى الشَّيخوخة المساعدة الضَّروريَّة له في هذا الطَّور أو ذاك من أطوار نموِّه، فالمدرسة والعمل والمستشفى ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوَّره عبر سائر تراب القطر، واحترام شخصيَّة الفرد تمثِّل جميعها أشكالاً مختلفة للمساعدة الَّتي يريد ويقدِّم المجتمع المتحضِّر على تقديمها للفرد الَّذي ينتمي إليه"، وبيَّن لنا منهجه في هذا التَّعريف فقال: لأنَّ الحضارة يجب أن تحدَّد من وجهة نظر وظيفيَّة، ولذلك عدل عن تعريف الأنثروبولوجيِّين الَّذين أغفلوا المعنى الوظيفي كما يفهمه مالك بن نبي فإذا كان كلُّ شكل من أشكال التَّنظيم في الحياة الاجتماعيَّة يعتبر لوناً من ألوان الحضارة فأيِّ فارق يفصل المجتمع البدائي عن المجتمع المتحضِّر، ويفرِّق بين مجتمع ما قبل الحضارة، ومجتمع الحضارة، ومجتمع ما بعد الحضارة، وهي المقولات الثَّلاثة الأساسيَّة الَّتي وضعها مالك بن نبي وجعلها مفاتيح في تفسيره لأطوار التَّاريخ الحضاري للمجتمع البشري، وفي تصوُّره للظَّواهر 032+6.الاجتماعيَّة وانتهى مالك بن نبي في تعريفه للحضارة إلى القول أن: الحضارة هي الَّتي تصنع منتجاتها وليست منتجاتها هي الَّتي تصنعها.(جريدة البصائر،الاثنين 07 صفر 1438هـ)، ولو أسقطنا جزءاً من هذه النَّظريَّة متمثِّلاً

في الإنسان وعامل الوقت لوجدنا أنَّ المدرسة مجبرة على تحضير وتكوين شخصيَّة الطِّفل المتعلِّم على اغتنام وقته بصورة علميَّة وتربوية وأن تعمل على بناء وتطوير ملكاته المعرفيَّة والوجدانيَّة ليصبح بذلك عنصراً فعَّالاً منتجاً في المجتمع والأمَّة مساهماً في عمليَّة الانتقال الحضاري أمَّا إذا تخلَّت المدرسة كبقيَّة المؤسَّسات الاجتماعيَّة الأخرى عن دورها في تنميَّة قيَّم التَّعلُّم لدى المتعلِّم فإنَّ ذلك مؤشِّر اجتماعي سلبي وخطير على بوادر الحضارة المنشودة الَّتي ينادي بها مالك بن نبي وتبقى بذلك المدرسة هيكلاً معماري بدون روح ينتج للمجتمع أفراداً متسرِّبين ليست لهم أيُّ علاقة بأسباب التَّقدُّم والتَّطوُّر الحضاري. وكلُّ هذه النَّظريَّات ستساهم بصورة جزئيَّة و تكامليَّة تحليليَّة فيما بينها لتوجيه البحث والدِّراسة.

4-نظريّة الرَّأسمال الثَّقافي: بما أنَّ ظاهرة التَّسرُّب المدرسي تتغذَّى بشكلٍ متدرّجٍ في عمقها الاجتماعي بدءً من البيئة الأسريَّة الَّتي لها مساهمةً كبيرةً في بقاء المتمدرس في المدرسة من عدمه ، فالرَّأسمال العلمي لأفراد الأسرة له أثرٌ كبيرٌ في انتشار هذه الظَّاهرة حسب ما يقدِّمه الوالدين من دافع بسيكولوجي مستمر وتواصل دائم مع المدرسة ومساعدة الطِّفل في واجباته المنزليَّة ومراعات شعوره تجاه المدرسة فضلاً عن مؤَّهلاته التَّحصيليَّة واستعداداته النَّفسيَّة والوجدانيَّة والظُّروف الصِّحيَّة الَّتي يمرُّ بها، وطبيعة علاقته بالمعلِّم وأقرانه في المدرسة، وكلُّها عوامل مؤثِّرة بتفاوت زمني ومكاني بين التَّلاميذ حسب اهتمام الأسرة وقدرتها في توظِّيف رأسمالها العلمي وفعاليَّته على مستوى المناخ الأسري والمدرسي، ممَّا ينعكس على مردود المتعلِّم ،الَّذي يتأثَّر سلباً في حالة عدم اكتساب الأسرة لهذا الرَّأسمال وهذا ما وقفت عليه دراستنا وأكَّدته سجلّات القيد المدرسيَّة لبعض المدارس الابتدائيَّة على أنَّ النِّسبة الكبيرة من أولياء أمور المتسرِّبين كانوا من طبقة الموَّالين والفلَّاحين والتُّجار والعمَّال البسطاء أو البدو الرُّحَّل ،وبالتّآلي فهذه العلاقة الطَّرديَّة بين التَّسرُّب المدرسي والرَّأسمال العلمي أو الثَّقافي لها مدلولها النَّظري في حيثيَّات التُّراث التَّاريخي لعلم الاجتماع فبيار بورديو مثلاً ركَّز على هذا الجانب من حياة الإنسان الثَّقافيَّة << فالرَّأس المال الثَّقافي للفرد قسَّمه إلى قسمين ، الأوَّل رأس المال الثَّقافي المكتسب على أساس المؤهَّل التَّعليمي وعدد سنوات الدِّراسة، والثَّاني رأس المال المورث من وضع العائلة وعلاقاتها بالمجالات الثَّقافية المختلفة ويحقِّق الشَّكل الأخير أرباحاً مباشرة في المحل الأوَّل داخل النِّظام التَّعليمي-أي كيف ينعكس على مردود التِّلميذ في المدرسة وكيف يوظِّف هذا الرَّأسمال الَّذي جاء به وتشرَّبه من أسرته>>(عبد العظيم حسني إبراهيم،بيير بورديو الفلاَّح الفرنسي الفصيح،1 /9:09/2011/10) كما أنَّه يحقِّق تلك الأرباح في أماكن أخرى مثل سوق العمل، بالإضافة إلى أنَّه يحقِّق مكاسب التَّميُّز للفرد في كافَّة المجالات ويتشكَّل الرأس المال الثَّقافي المورث من خلال منح العائلات لأبنائها مجموعة من أنماط الحياة المتميِّزة، وشبكة من العلاقات الاجتماعيّة

القويَّة، والَّتي تصبح شكلاً من التميُّز تستفيد منه الأجيال التَّاليَّة. إنَّ ثمَّة اتِّجاه لدى هذه العائلات نحو صياغة سلوك أفرادها ، وتشكيل قيمهم على مدار الأجيال ويتِّم ذلك من خلال بعض الممارسات مثل نمط التَّعامل الرَّاقي التَّأهيل العلمي والأخلاقي ، تدعيم عادات فرديَّة معيَّنة ، تشكيل نمط حياة مختلفة ، ومستوى معيشي مغاير، ويسهم كلَّ ذلك في تعميق الاختلافات الطَّبقيَّة للمجتمع ،أما رأس المال الثَّقافي المكتسب فيتوقَّف اكتسابه على بعض العوامل مثل الفترة الزَّمنيَّة طبيعة المجتمع ، والطَّبقة الاجتماعيَّة الَّتي ينتمي إليها الفرد بالإضافة إلى القدرات الذَّاتيَّة ، والسِّمات الجسديَّة للفرد ، وثمَّة ترابط بين رأس المال الثَّقافي المورث والمكتسب ، حيث يمكن للفرد أن يطوِّر رأسماله الثَّقافي المورث من خلال قدراته العضويَّة(عبد العظيم حسني إبراهيم،بيير بورديو الفلاَّح الفرنسي الفصيح،9:09/2011/10/1) يتضِّح مما سبق أنَّ رأس المال الثَّقافي لدى بورديو يعبِّر عن القدرات والمهارات العقليَّة والجسديَّة ، وكلُّ أشكال المعرفة والخبرات الَّتي يتحصّل عليها الفرد إمَّا نتيجة انتسابه لعائلة أو جماعة معيَّنة أو نتيجة لمؤهِّلاته الذَّاتيَّة وتنميَّتها وتطويرها. كما أنَّ للطَّلاق في بعض الأحيان أثرٌ كبيرٌ في استفحال ظاهرة التَّسرُّب المدرسي نظراً للتَّفكُّك الأسري الَّذي يحدثه الانفصال بين الوالدين، ومن جانب آخر يمكن لوفاة أحد الوالدين أو كلاهما أن يكون سبباً رئيسياً في انقطاع الطِّفل عن المدرسة، زيَّادة على الزَّواج المبكِّر للبنت الَّذي ينتشر كثقافةٍ في بعض المجتمعات والَّذي يساهم كذلك في انقطاع العنصر الأنثوي عن متابعة الدِّراسة في المدرسة.

5 ـ المناخ المدرسي وعلاقته بالتَّسرُّب المدرسي من خلال التُّراث النَّظري المعتمد في هذه القراءة:

يرى مركز الأمن المدرسي في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة أنَّ مناخ المدرسة (national school safty cent) هو الجو العام أو الاتِّجاهات السَّائدة في المدرسة ، أو شخصيَّة المدرسة فالمناخ المدرسي يشمل: ـ المرافق والنَّواحي الماديَّة في المدرسةـ مستوى النِّظام والرِّضا والإنتاج، وكيفيَّة تفاعل الطَّالب و المعلِّم والإدارة ، والبيئة المحليَّة بعضهم ببعض.(ضبيب العتيبي محمد عبد المحسن،2007، ص 15) وفي هذا الصَّدد يقول جون ديوي : << لا يتسنَّى للمدرسة أن تَعُدَّ طلبة للحياة الاجتماعيَّة إلاَّ متى كان النِّظام فيها يُمثِّل الحياة الاجتماعيَّة>>(ديوي جون،1978، ص 11)ويُقصد بهذا النِّظام المناخ السَّائد في المدرسة وهو مصطلح من المصطلحات الَّتي دخلت ميدان التَّربيَّة حديثاً واستمدَّت كيانها من علم الاجتماع ، وعلم النَّفس الاجتماعي ، وقد جذب موضوع المناخ المدرسي انتباه العديد من الباحثين التَّربويِّين بسبب نتائج الدِّراسات والبحوث التَّي تُؤكِّد أهميَّته في التَّأثير على نتائج العمليَّة التعليميَّة (mcgraill , 1987 , 1&Wilson). ومنه فالمناخ المدرسي هو بمثابة جو التَّفاعل السَّائد بين أهم العوامل التَّربويَّة المدرسيَّة ويتميَّز المناخ المدرسي إيجابياً

بين متطلَّبات العمليَّة التَّربويَّة داخل المدرسة بأن يكون هناك انسجام وتوافق ، واستقرار تعليمي وتعلُّمي وباضطرابه تكون هناك العديد من النَّتائج والمشكلات التَّربويَّة ؛ الَّتي تطفو على السَّاحة ، والَّتي تُؤثِّر على الأداء الجيِّد للمتعلِّم والَّتي تغذِّي ظاهرة التَّسرُّب لديه ، ومن خلال مراجعة أدبيات موضوع المناخ المدرسي نلاحظ الاختلاف الواضح بين الباحثين حول مفهومه ؛ حيث استخدم هذا المفهوم بعدَّة مترادفات ومسمَّيات فمنهم من أطلق عليه الطَّابع ، الاتِّجاه العام في السلوك الجو المدرسي ، البيئة وغيرها من المسميَّات الَّتي تصف البيئة الداخليَّة للمدرسة . ومناخ المدرسة يعتمد على الانطباعات ؛ ومن الصَّعب تعريفه بدقَّة فقد يُنظر إليه على أنَّه مجموعة من السِّمات الَّتي تصف مدرسة ما ، وما يميِّزها عن غيرها وتُؤثِّر على سلوك المعلِّمين وسلوك الطَّلبة فيها، أو أنَّه مجموعة من الأحاسيس والمشاعر الَّتي يشعر بها الطَّلبة والمعلِّمون تجاه المدرسة(ضبيب العتيبي محمد عبد المحسن،2007، ص17) وعليه فالأطوار المدرسيَّة تختلف من ناحيَّة مناخها المدرسي،وكذا البيداغوجيا الَّتي تسيَّر وفقها.(فؤاد أبو حطب و محمد سيف الدِّين فهمي،1984،ص71) وللجانب القيمي كذلك أثر بالغ في وجود مناخ مدرسي مناسب ينعكس على الظاهرة التَّعلُّميَّة في المدرسة وإلاَّ كانت الفوارق والفجوات الَّتي تعمل على إيجاد طابع مدرسي مضطرب تظهر من خلاله بوادر الظَّواهر المدرسيَّة السِّلبيَّة كالتَّسرُّب وغيره. وهناك عوامل عدَّة تؤثِّر في النِّظام المدرسي وتجعله نظاماً مدرسياً سليماً أو غير ذلك ومنها : * الإدارة المدرسيَّة والمدرِّسون * البيئة الَّتي تقوم فيها المدرسة * اتِّجاه أولياء الأمور ومجالس والآباء والمعلِّمين * الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيَّة لتلاميذ المدرسة وتقاليد المدرسة * العلاقات الإنسانيَّة بين مدير المدرسة والمدرِّسين والتَّلاميذ * المناهج وطرق التَّدريس المتَّبعة * الأنشطة المدرسيَّة ونوعيَّتها* الإمكانيَّات الماديَّة والبشريَّة بالمدرسة * التَّنظيم المدرسي * التَّقويم والامتحانات الطُّلابيَّة * الخدمات التَّرفيهيَّة والصِّحيَّة والاجتماعيَّة المقدَّمة للطُّلاب(سعيد عبد العزيز،جودت عزت عطوي،2009، ص246) ومنه فكلُّ هذه العوامل المذكورة سابقاً تقلِّل فرص التَّعلُّم ، وممارسة العمليَّة التَّعليميَّة إذا كانت مؤثِّراتها لا تعمل بصورة سليمة وبالتَّالي نسبة التَّعلُّق بالمدرسة من طرف المتعلِّم مرهون بمدى فعاليَّتها التَّربويَّة، والنَّفسيَّة في تكامل وظيفي يعمل على توفير المناخ الملائم للحفاظ على سيرورة هذا النِّظام المدرسي وبقائه . وإتاحة الفرصة للتَّلاميذ للمشاركة الفعَّالة في عمليَّة التَّعليم والتَّعلُّم الَّتي تقوم على الأخذ والعطاء والمناقشة المنظَّمة بين التَّلاميذ والمدرِّسين.*زيادة مجالات النَّشاط وتوزيعها. وبذلك التَّلاميذ يرغبون في إشباع حاجاتهم كما ذكرنا ، لكن حجرات الدِّراسة والفصول لا تسمح لهم بذلك إلاَّ في حدود معيَّنة، لذلك كان تكوين جماعات النَّشاط ،وإيجاد مجالات النَّشاط الرِّياضي ، والاجتماعي والفنِّي والعلمي، والتَّرويحي ضروري تربويَّة فهي مجالات

تسمح للطَّاقات والقدرات والمواهب المختلفة أن تعبّر عن نفسها ، وكذلك فإنَّها تتيح الفرصة للنُّمو التَّربوي السَّليم عن طريق تأكيد علاقات التَّعاون والمنافسة الشَّريفة والعمل الجماعي وظهور البطولات الفرديَّة والجماعيَّة واكتساب الصَّداقات وهي في جملتها علاقات سليمة تحدث نمواً فردياً واجتماعياً للتِّلميذ.(سرحان منيرالمرسي، د س ن، ص 202) ومنه فالفرد لا يحقِّق ذاته إلاَّ في محيط اجتماعي ومشاركته في حياة جماعة من الجماعات شرط لازم للنُّمو الشَّامل والنَّاضج ؛ لأنَّ النُّمو لا يحدث فقط نتيجة التَّفاعل بين هذه العوامل ومؤثِّرات البيئة ، ومن هنا كانت أهميَّة الاشتراك في الجماعات المختلفة للأنشطة المدرسيَّة ومهمَّة لبناء شخصيَّة التَّلاميذ ، و نرى كذلك أنَّه لم تعد هذه الأنشطة حتَّى في مجمل الأحوال تقاليد نمطيَّة ، وإنَّما أصبحت أهميَّتها تقاس بمدى فعاليتها في تنميَّة المتعلِّم وإسعاده وفهمه لذاته وإدراكه لتبعاته حيال نفسه وحيال غيره وتجاه المجتمع الَّذي يعيش فيه وله حيث تقوم العلاقات بين الأفراد على التَّجاوب والتَّفاعل وتجري وظائفها على التَّكافل والتَّكامل(طعيمة أحمد المهدي،1429هـ-2009،ص215)،وعليه وجب تفعيل وتنشيط البيئة الاجتماعيَّة المدرسيَّة من خلال فضائها الواسع وتشكيل أفق يساعد التِّلميذ في هذه المرحلة الَّتي تفرض عليه نوع من الانفعالات بحكم حركة النُّمو المعرفي، والوجداني، والنَّفسي الَّتي يمر بها والَّتي تساهم في بناء شخصيَّته بالعديد من الأنشطة والعوامل المتوفِّرة داخل المدرسة كتفعيل جانبه الرِّياضي بجعله يساهم فيها عن طريق فريق كرة القدم الخاص بالمدرسة ممَّا يعطيه عامل الانتماء وتمثيل المدرسة أو عامل المسابقات العلميَّة بين الصُّفوف أو المدارس ليستطيع تنميَّة قدراته العمليَّة والفكريَّة وكذا إبداء جزء كبير من مواهبه كالرَّسم والخط وغير ذلك من التَّربيَّات الفنِّيَّة ، أو عن طريق تقديم أعماله في قاعة عرض داخل المدرسة أو عن طريق تقديمه لأعمال مسرحيَّة ، تمكِّنه من التَعبير الكامل الغير مقيَّد واستظهار مكبوتاته ويمكن كذلك تفعيل العمليَّة التَّربويَّة بالوسائل المتاحة لتنشيط رحلات مدعومة بمختصِّين في المجال وكلُّها أنواع من التَّربيَّة تحدث موازاة مع ظهور أهم العمليَّات التَّربويَّة والاجتماعيَّة كالتَّعاون والمنافسة وغيرهما ، وهو ما تطرَّق إليه رائد النَّظريَّة الطبيعيَّة في التربيَّة الفرنسي جون جاك روسو في المبدأ السادس من كتاب إميل للتربيَّة وهو أهميَّة الدَّور التربوي للأسفار والرَّحلات (الشَّيباني محمد التُّومي،1982، ص182)في تنميَّة قدرات الشَّباب وتنشئته الاجتماعيّةَ في اكتساب ثقافة،واتِّجاهات تربويَّة مختلفة كما أقرَّ الشِّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي أيَّام الاحتلال الفرنسي مرشداً تربوياً قال فيه (الغاية منه توحيد البرنامج وهو توحيد التَّربيَّة والتَّعليم حتَّى ينشأ هذا الجيل مطبوعاً بطابع واحدٍ في لسانه وبيانه وقلمه وفي تفكيره ومشربه وفي آرائه في الحياة ونظرته إليها وأحكامه عليها (آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ،ج2، ص 78) ووضَّح كيف يجتاز التِّلميذ النَّاشئ

المراحل السِّت الَّتي حدَّدها في المرشد؛ إن لم يعقه عائق حينما يجتاز العقد الأوَّل من عمره بقليل فيكون غذاءه العقلي مسايراً لغذائه الجسمي ويكون تكوينه الرُّوحي جارياً مع تكوينه البدني في عنان واحد ويكون نموُّ مداركه العقليَّة بالعلم والمعرفة مقارناً لنموِّ إحساساته النَّفسيَّة بالطَّبع والفطرة ،فيتلقَّى العقد الثَّاني من عمره وهو عهد الإحساس بجمال العلم، وشرف الفضيلة والدِّين ويتلقَّى هنا العهد الَّذي هو عهد النَّزوات وتنبُّه الغرائز الفطريَّة، مسلَّحاً بما يدفع غوائلها ويشذب زوائدها ،ويهذِّب حواشيها مراحل التَّعليم الابتدائي وهي بالأصول- مراحل التَّكوين الأولى للنَّاشئة وعلى أساسها يُبنى مستقبلهم، فإن كان هذا التَّكوين صالحاً كانوا صالحين لأمَّتهم ولأنفسهم ، وإن كان ناقصاً مختلاً زائفاً بنيت حياة الجيل كلِّه على فسادِوساءت آثاره في الأمَّة وكانت الأمَّة أصلح لها منه وأسلم عاقبة(آثار_الإمام محمد البشير الابراهيمي ،1954)،وكلُّها عوامل تربويَّة وتعليميَّة جاذبة للتِّلميذ مدرسياً لا طاردة له وفق العلاقات بين التَّلاميذ أنفسهم مما يعطيه خاصيَّة التَّعبير وتحمُّل روح المسؤوليَّة ، والإحساس بالانتماء والمكانة والدَّور الَّذي يشغله كجزء أساسي مهم في ديناميكيَّة العمليَّة التربويَّة داخل المدرسة وكتفاعل اجتماعي يشكِّل أحد المرتكزات الأساسيَّة المهمَّة الَّتي تقوم عليها المجتمعات البشريَّة .ومن خلال هذه التَّحليلات والاسقاطات النَّظريَّة على الواقع المدرسي الَّذي يستلزم منَّا الوقوف بجدِّيَّة على فهم أبعاد الظَّاهرة المدروسة وعلاقتها بالمتغيِّر المستقل القيَّم المتعلِّقة بعمليَّة التَّعلُّم. وهاته المعطيات كلِّها ضروريَّة للإجابة عن بعض الاشكالات والحلول الَّتي نادى بها المؤتمر المنعقد بفرنسا في9 و10 نوفمبر 2017 والَّذي ألقى الضَّوء من خلالها على العديد من القضايا والأسئلة مثل ما هي السِّياسات الَّتي يجري اتباعها في الخارج لمكافحة ترك المدرسة في وقت مبكِّر؟ وما هي الآليَّات الملموسة والمقيّمة الَّتي تمَّ وضعها في بلدان أخرى؟ كيف يتمُّ التَّعرف على الشَّباب المعرَّضين لخطر التَّسرب من المدرسة بهدف الوقاية؟ ما هي الحلول الَّتي يمكن اقتراحها؟ (PRÉCONISATIONS DU CNESCO,DÉCSMBRE 2017, P5).

خاتمة: بعد هذه القراءات النَّظريَّة للظَّاهرة المدروسة ندرك تماماً مدى أهميَّة النَّظريَّة الاجتماعيَّة في توجيه البحث وحيثيَّاته التَّصوُّرية والمنهجية والنَّظرية والميدانية والتَّحكُّم في آلياته ومن جانب آخر فالنَّظريَّة المعتمدة تساعدعلى التَّحليل والاسقاط على الواقع الاجتماعي والتَّنبُّؤ بصيرورة الظَّاهرة المدروسة.

قائمة المراجع:

1-محمَّد بن حمُّودة : الإدارة المدرسيَّة في مواجهة مشكلات تربويَّة ، د ط ، دار العلوم للنَّشر والتَّوزيع ، عنَّابة 2008 ، ص 79.

2-PRÉCONISATIONS DU CNESCO AGIR PLUS EFFICACEMENT FACE AU DÉCROCHAGE SCOLAIR DÉCSMBRE 2017, P6.

3- علي السيِّد محمَّد الخشيبي : علم اجتماع التَّربيَّة المعاصر (تطوُّره ، منهجيَّته ، تكافؤ الفرص التَّعليميَّة) ط 1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2002 ، ص 347

4- جديدي زليخة : الاغتراب ، مقال منشور ، العدد الثَّامن ، مجلَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة ، جامعة وادي سوف ، الجزائر ، جوان 2012 ، 351 / 352 / 353 / 354 .

5- مقال منشور بجريدة البصائر الاثنين 07 صفر 1438هـ،23.10.

6- حسني إبراهيم عبد العظيم: بيير بورديو الفلاَّح الفرنسي الفصيح ، الحوار المتمدِّن-العدد: 3503- 9:09/2011/10/1.

7- حسني إبراهيم عبد العظيم: بيير بورديو الفلاَّح الفرنسي الفصيح ، الحوار المتمدِّن-العدد: 3503- 9:09/2011/10/1.

8- محمد عبد المحسن ضبيب العتيبي : المناخ المدرسي ومعوِّقاته ودوره في أداء المعلّمين بمراحل التَّعليم العام رسالة ماجستير جامعة نايف العربيَّة للعلوم الأمنيَّة ، كليَّة الدِّراسات العليا قسم العلوم الاجتماعيَّة ، الرِّياض ، 2007 ، ص 15 .

9- جون ديوي : المدرسة والمجتمع ، تر ، أحمد حسن الرَّحيم ، ط 2 ، مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، 1978 ، ص 11.

10- محمد عبد المحسن ضبيب العتيبي : المناخ المدرسي ومعوِّقاته ودوره في أداء المعلّمين بمراحل التَّعليم العام رسالة ماجستير جامعة نايف العربيَّة للعلوم الأمنيَّة ، كليَّة الدِّراسات العليا قسم العلوم الاجتماعيَّة ، الرِّياض ، 2007 ،ص17.

11- فؤاد أبو حطب و محمد سيف الدِّين فهمي: معجم علم النَّفس والتَّربيَّة ، جزء 1، الهيئة العامَّة لشؤون مطابع الأميريَّة ، مصر، 1984،ص 71.

12- سعيد عبد العزيز ، جودت عزت عطوي : التَّوجيه المدرسي (مفاهيمه النَّظريَّة أساليبه الفنيَّة ، تطبيقاته العلميَّة) ، ط 1 ، دار الثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع ، عمَّان الأردن ، 2009 ، ص 246 .

13- منير المرسي سرحان : في اجتماعيات التَّربيَّة ، د ط ، دار الشُّروق للنَّشر والتَّوزيع ، عمَّان الأردن ، د س ن ، ص 202 .

14- أحمد المهدي طعيمة : المنهج المدرسي المعاصر ، ط 2، دارالمسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة ،عمَّان الأردن، 2009، 1429هـ ،ص 215

15- محمد التُّومي الشَّيباني : تطوُّر النَّظريات والأفكار التَّربويَّة ، ط 3 ، الدَّار العربيَّة للكتاب ، 1982 ، ص 182 .

16- آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ،ج2، ص 78 .

17- أحمد طالب الابراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ، ط 1 جزء 2 ،(1954 .

18-PRÉCONISATIONS DU CNESCO AGIR PLUS EFFICACEMENT FACE AU DÉCROCHAGE SCOLAIR DÉCSMBRE 2017, P5.